المُفاضلة بَيْنَ الاستعمالات الصوتية الواردة عن العرب في كتاب سيبويه

عبدالله محمود علي أحمد (*)

المقدمة :

الحمدُ لله الواحدِ المعبود عَمَّ بحكمته الوجود، وشملت رحمته كل موجود، أحمده سبحانه وهو بكلِ لسانٍ محمودٍ، وأصلي وأسلمُ على النبي محمدٍ صاحب المقامِ المحمود، واللواء المعقود، والحوض المورود، والتابعين له من الركعِ السجودِ، ومن المؤمنين الشهود .

فإذا طالعت الكتاب لسيبويه(ت١٧٧ه-١٨٠ه) فستجد أنَّ هناك استعمالات صوتية وردت عن العرب وارتبطت ارتباطًا وثيقًا بالمستوى الصوتي قد تعددت فيها الاستعمالات الصوتية في النطق ثم انتهت بالمفاضلة، حيث تمت المفاضلة بين الاستعمالات الواردة، بحيث وقع الاختيار على استعمال واحد في النهاية، تم اختياره وتم ترجيحه على الاستعمالات، وقد جاءت الدراسة مشفوعة بالقراءات القرآنية الواردة عن العلماء؛ لبيان مدى التنوع في القراءات وتعدد الأصوات في المخارج .

ومن دواعي اختيار هذه الفكرة: محاولة الكشف عن معايير المفاضلة وضوابطها التي اعتمدتُ عليها. الهدف من دراسة الموضوع: بيان الأصوات الحسنة من الرديئة التي وردت عن العرب في الكتاب. وقد قام المنهج على التحليل والتمحيص والكشف عن الاستعمالات الصوتية الواردة في الظاهرة تحليلًا، يتناسب مع طبيعة الدرس اللغوي الحديث، وآراء القدماء منهم والمحدثين.

الدراسات السابقة : من أبرز الدراسات التي دارت حول هذه الفكرة، والتي من الممكن أن تَمُتْ بصلة غير مباشرة لهذه الفكرة،ما يأتي:

(*) هذا البحث من رسالة الدكتوراه الخاصة بالباحث، وهي بعنوان: [المُفَاضَلةَ بَيْنَ الاستِعْمَالاَتِ العَرَبِيّة في كِتَابِ سِيْبَوَيْهِ "دِرَاسَةٌ وَصْفِيَّةٌ تَحلِيلِيَّةٌ "]، تحت إشراف أ.د. عبدالناصر محمود عيسي عبدالحميد – كلية الآداب – جامعة أسيوط & أ.د. محمود عبدالعزيز محمدعلي - كلية الآداب – جامعة أسيوط

١- معايير القبول والرفض النسبية في كتاب سيبويه، لمريم عابد مفلح الهذلي، بإشراف حصة بنت زايد بن مبارك الرّشود، أطروحة دكتوراه في كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية٢٠١٥م-١٤٣٦ه .

٢-التحسين في كتاب سيبويه، لمريم بنت غازي بن ذعار العتبي، بإشراف: أحمد بن محمد بن عبدالمحسن العضيب، رسالة ماجستير في كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية٢٠١٥م-١٤٣٦ه .

المفاضلة بين التسكين والتحريك في الأصوات العربية بين ما هو رديء وحسن

قال سيبويه:" (ت ١٧٧-١٨٠ه) وَزَعَمَ أبو الخطاب أنَّ ناسًا مِنْ العرب يقولون: ادْعِــهْ من دَعَوْتُ، فيُكْسِرونَ العَيْنَ، كأنَّهَا لمّا كَانَتْ فِي مَوضِعْ الجزم توهَّموا أنَّهَا سَاكِنَةٌ، إذ كانت آخرَ شيء في الكلمة في موضِعْ الجَزْمِ، فكسروا حيث كانت الدال ساكنة؛ لأنّهُ لا يلتقي سَاكِنَانِ،[1] كما قالوا: ردِّ يا فتى. وَهَذِهِ لُغَةٌ رَدِيْئَةٌ، وإنما هو غلطٌ، كما قال زهيرٌ:

بدا لي أني لَسْتُ مُدْركَ ما مضى ❁ ولا سَابِقٍ شيئًا إذا كان جائيًا [2] [من الطويل]

يفاضل سيبويه في الفقرة السابقة، بين بعض الأصوات العربية التي وردت في نطق بعض الحروف المتوسطة في الكلمة ساكنة على خلاف الأصل؛ توهمًا لالتقاء ساكنين، فجاءت المفاضلة بتوصيف هذا النطق وهذه الأصوات بالرداءة مقارنة بالنطق الجيد والحسن في هذه الكلمات .

وقد نقل سيبويه (ت ١٧٧-١٨٠ه) عن الأخفش الأكبر(ت ١٧٧ه/٧٩٣م) أن بعض العرب يقولون: ادْعِه بكسر العين، توهمًا منهم أن العين ساكنة؛ لوقوعها موقع جزم فهي فعل أمر مجزوم، فاعتقدوا أن هذا الفعل مجزوم وعلامة جَزْمه السكون، وباعتقادهم أن العين هي آخر حرف في الكلمة، فالحركة الإعرابية

[1] - الكتاب ٤/ ١٦٠ط عبدالسلام هارون.

[2] - الشاهد: لزهير بن أبي سلمى في ديوانه ص٢٨٧، والخزانه ٥٨/١ ١٣١\٢، وهو بلا نسبة في المقتضب ٣٣٩/٢، وشرح المفصل ٦٩/٨،وشرح الشافية، للرضي الاستراباذي ،ج١، ص٢٢٥.

وهي السكون يجب أن تظهر عليه، وبذلك تصبح الدال ساكنة، والعين بنظرهم كذلك، فيجب تحريك العين بالكسرة؛ لمنع النقاء الساكنين.

ومن المعلوم أن (ادعه) فعل أمر وعلامة إعرابه حَذْف حرف العلة من آخره، وأما بالنسبة لقول "زهير" فالغلط فيه جر كلمة (سابقٍ) بتوهم حرف جر محذوف. فالبعد عن القياس يتمثل في أنَّ القاعدة العامة عند النحاة تقول: "إنَّ فعل الأمر يبنى على ما يُجْزم به الفعل المضارع [١].

وفي هذا يقول ابن جني(ت ٣٩٢ه):" واعلم انَّ لفظ الوقف كلفظ الجزم سواءٌ؛ لذلك حكم على هذا النمط بالرداءة، فالقياس أن تكون حركة العين الضمة؛ لأنَّ الواو هي التي حُذِفت، إلا أنهم وضعوا الكسرة وفي ذلك بعدٌ واضحٌ عن القياس ".[٢]

وقد حكى الرضي الاستراباذي (ت٦٨٦ه-١٢٨٧م) ذلك فقال: "حكى أبو الخطاب عن ناس من العرب: ادْعِه واغْزِه من دَعَوْت وغَزَوْت، كأنهم سكنوا العين المتحركة، بعد حذف اللام للوقف، توهمًا منهم أنهم لم يحذفوا شيئًا للوقف"،[٣]وقد تفاوتت مواقف العلماء من العطف على التوهم؛ إلا أنَّ قسمًا كبيرًا منهم يعدونه من باب الغلط، وربما خصوّا الشعر به، ويعد ما وصفه سيبويه بالغلط هو التوهم.

وقد روى "سيبويه" في الكتاب أنه سأل "الخليل" عن الجزم في قوله تعالى:" ﴿فأصَّدَّقَ وَأَكُنْ من الصَّالِحِينَ﴾"[٤] فقال الخليل هذا كقول زهير:

بدا لي أني لست مدرك ما مضى ❁ ولا سابقٍ شيئًا إذا كان جائيَا

[من الطويل]

فإنَّما جرّوا هذا؛ لأنَّ الأوَّل قد يَدخله الباء، فجاءوا بالثاني وكأنَّهم قد أثبتوا في الأول الباء، فكذلك هذا، لما كان الفعلُ الذي قبله قد يكون جزمًا ولا فاء فيه تكلّموا بالثاني، وكأنهم قد جزموا قبله، فعلى هذا توهّموا هذا".[٥]وقد وصف

---

١ - التصنيف اللغوي بين المقبولية والأفضلية اللغة الرديئة نموذجاً، لعمر محمد أبو نواس – كلية اللغات الجامعة الألمانية الأردنية – عمان – الأردن ص ١١.

٢ - الخصائص /١٨٥.

١- شرح شافية ابن الحاجب – للرضي الدين الاستراباذي ٢٩٨/٢.

٤ - سورة المنافقون ،الآية : ١٠.

٥ - الكتاب ١٠٠/١،١٠١.

"سيبويه" العطف على التوهم بأنه غلط وأنه لغة رديئة، واستبعد توجيه الخليل إذ يقول" والإشراك على هذا التوهُّمِ بعيدٌ كبعدِ (ولا سابقٍ شيئًا)[١].

وجدير بالذكر أن كثيرًا من المحدثين يأخذون على "سيبويه" أنه يضعف أو يصف بالغلط مواضع نحوية، جاء بها السياق القرآني كما فعل في الآية:(فأصَّدَّقَ وَأَكُنْ من الصَّالِحِينَ﴾ فقد جاء في كتابه مقارنتها بشعر زهير، وَوَصف الشعر بالغلط، وهذا الأمر بعيد كل البعد عن سيبويه؛ فهو وإن كان يضعف أو يغلط وجهًا من الوجوه النحوية، فهو يرى أنَّ هذا الوجه الذي جاء به السياق القرآني جاء على وجه آخر من وجوه العربية، وهذا الوجه أضعف من غيره من الوجوه، وهو بذلك لا يقلل بحالٍ من سياق النص القرآني.

وبالعودة إلى آراء العلماء في قضية التوهم في العربية، فإن "ابن السراج"(٣١٦هـ-٩٢٩م) في كتابه الأصول في النحو، أشار إلى عطف التوهم، وحمل بعض الشواهد الشعرية على ذلك، كما في قول زهير "ولا سابقٍ شيئا"[٢] ويعدُه سيبويه من باب نيّة الحذف .[٣]

ويمكن القول بأنَّ عَطْف التوهم أو التأويل على التوهم بشكل عام موضع قبول عند كثير من النحاة؛ لأن فيه خروجًا عن قواعد اللغة وأصولها، المتمثلة في السماع والقياس والإجماع، واستصحاب الحال، وتبين أن جمهور النحاة لم يقل بقياسيّة التوهم، وقد حصره معظمهم في الشعر أو وصفوه بالغلط، وكذلك عدّه النحاة غير قياسي؛ لأنَّ فيه خروجًا عن قواعد اللغة.

وأغلب الظن أن "سيبويه" كان يذكر التوهم في كتابه؛ حرصًا منه على تبرير بعض الشواهد وإخضاعها للقاعدة النحوية، وحَصْر الأوجه الممكنة فيها، ويعد هذا من باب نية الحذف، ويبدو أن سبب تقدير التوهم في العطف وغيره، يعود إلى تبرير الحركة الإعرابية في المقام الأول؛ لئلا يوصف النص بالشذوذ أو الغلط.

ويرى الباحث أنَّ "سيبويه" قد نقل لنا بعض الأصوات العربية عند بعض العرب؛ حيث ورد عن بعضهم كسر العين في كلمة (اذْعِه) اعتقادًا منهم أن الفعل

---

[١] - الكتاب ٥١/٣.
[٢] - الاصول في النحو لابن السراج ،ج١، ص٣٥٢.
[٣] - الكتاب ٢٨/٣،٢٩.

(ادعه) هو فعل أمر مبني على السكون، ومن المعلوم أن الحركة الإعرابية تظهر على آخر حرف في الكلمة؛ ولذلك لابد أن يظهر على حرف (العين)، وهو آخر حرف في الكلمة حركة الإعراب وهو السكون، وقد رأوا أنه بهذه الحالة أنَّ هناك التقاء لساكنين، فحركوا العين بالكسرة؛ منعًا لالتقاء الساكنين .

من هنا جاءت المفاضلة بين التوهم في كَسْر العين عند بعض العرب، و الحقيقة الأصلية وهي ضم حرف العين، فوصف سيبويه هذا النطق الذي ورد عن بعض العرب بالكسر توهمًا منهم؛ حتى لا يلتقي ساكنان بالرديء، وفضل أن تكون العين كما هو معتاد، وكما جرى على ألسنة العامة في النطق بها مضمومة، بما يتفق وصحيح القاعدة النحوية، في أنَّ الفعل الأمر (ادع) هو فعل أمر مبني على حذف حرف العلة وهو الواو، وهو الوجه الجيد الحسن، المفضل عن الوجه السابق .

المفاضلة بين التحقيق والتخفيف الصوتي في هَمْز بعض الكلمات:

قال سيبويه:" وكذلك البَرِيَّة تَهْمِزُهَا. فأمّا (النَّبيِّ) فإنَّ العَرَبَ قَدْ اختَلفت فيه، فَمَنْ قال النَّبآء قال: كان مُسَيْلِمةُ نُبيِّىءَ سَوْءٍ، وتقديرها نُبَيِّعٌ، وقال العباسُ بن مِرْدَاسٍ[1].

يا خَاتِمَ النُبّآء إِنَّكَ مُرسَلٌ ❁ بِالحَقِّ كلُّ هدى السَّبيل هُداكا

[من الكامل]

ذا القياس، لأنهُ مّما لا يَلزم، وَمَنْ قَالَ: أنبياءُ قال: نُبَىٌّ سَوْءٍ،كما قال في عِيدٍ حين قالوا أعْيَادٌ: عُيَيْدٌ؛ وذلك لأنَّهُمْ ألزموا الياء؛ وأمّا النُّبُوَّة فلو حقّرتها لهمزت؛ وذلك قولك: كان مُسَيْلَمَةُ نُبُوَّتُه نُبَيِّة سَوْءٍ؛ لأنّ تَكْسِير النبَوَّة على القياس عندنا؛ لأنّ هذا الباب لا يلزمه البدل، وليس مِنْ العرب أحد إلاّ وهو يقول: تنبّأ مُسَيْلِمَةُ وإنما هو من أَنْبَأْتُ".[2]

يفاضل سيبويه في الفقرة السابقة، بين الأصوات التي وردت عن العرب في هَمْز بعض الكلمات، مما عدَّه سيبويه من ضمن اللغات الرديئة، وهو هَمْز كلمة

[1] - العبّاس بن مرداس(ت٦٣٩هـ) السلمي صحابي وشاعر من المخضرمين ممن اشتهروا في بداية عهد الإسلام وقبله وكان من سادات قومه بني سليم.

[2] - الكتاب ٤٦٠/٣.

(النبيء) على الرغم من أنه أكد أنَّ أصلها بالهمز، وقد وردت قراءات ولغات تدعم وتؤيد جواز وصحة استعمال لغة الهمز، تتمثل في الآتي :

١-قراءة نافع[١] بن عبدالرحمن بن نعيم (ت:١٦٩ه)، وهو أحد القراء السبعة كلمة (النبي) بتحقيق الهمز، هكذا : النبيء.[٢]

٢-أن أصحاب المعاجم ذكروا أنَّ كلمة (النبيء) بالهمز، تعني المُخْبر عن الله عز وجل، وهي مهموزة الأصل .[٣]

٣- أنِّ همز كلمة (النبيء) هي لغة أُثرت عن أهل مكة، وهم مِمَّن يحتجُّ بلغتهم في التقعيد، ويدل على ذلك قول يونس بن حبيب:"وأهل مكة يخالفون غيرهم، فيهمزون النبي والبريّة والذرية والخابية".[٤]

وعلى الرغم من هذه القراءات واللغات التي وردت في همز كلمة (النبيء)؛ فإنَّ إلا أنَّ ذلك قد حُمِل على قلة الاستعمال، إذ الأكثر والأجود أن تستعمل دون همز،وقد لفتت هذه المسألة انتباه القدماء، فحاولوا تسويغ ذلك، فهذا الرضي الاستربـاذي:" يرى أنَّ وصف هذه اللغة بالرداءة عند "سيبويه" يعود لعدم تواتر القراءات السبع عنده"[٥] .

أما الفارسي فرأى أنَّ "سيبويه" ذهب إلى ذلك؛ لأنَّ الغالب في استعماله التخفيف على وجه البدل من الهمزة منها، ورأى أن معظم العرب تركوا الهمز، فأصبحت هي اللغة الشائعة؛ لذا حكم "سيبويه" على لغة الهمز بالرداءة،[٦]من ناحية أخرى وقف بعض المحدثين عند هذه المسألة، فقد ذهب "أحمد علم الدين الجندي" إلى أنَّ سبب حكم "سيبويه" على هذه اللغة بالرداءة؛ قلة الاستعمال مع

---

[١] -وقراءة نافع جاءت على الأصل ، من النبأ الذي هو الخبر ، لأن النبي مُخبر عن الله تعالى ,فهي تبنى على " فعيل " ، بمعنى " فاعل, " أي منبئ عن الله تعالى بالوحي الذي يأتيه منه ، فأصله بالهمز.

[٢] - ابن مجاهد ، ١٤٠٠هـ،١/١٥٧.

[٣] - ابن دريد ١٩٨٧م ، ٣/١٢٨٤.

[٤] - ابن السكيت ص ١٥٩.

[٥] -شرح شافية ابن الحاجب المؤلف :رضي الدين الأستراباذي الجزء: ٢الوفاة: ٦٨٦المجموعة :علوم اللغة العربية تحقيق:تحقيق وضبط وشرح: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد محيي الدين عبد الحميد الطبعة:سنة الطبع: ١٣٩٥ - ١٩٧٥ م.

[٦] - التصنيف اللغوي بين المقبولية والافضلية اللغة الرديئة نموذجًا دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية، لمجلد ٤٢، العدد ٢، ٢٠١٥.

أنها مطردة في القياس، في حين رأى "أكرم حمدان" أنَّ الهمز أصل والتخفيف فرع، فتركوا الأصل وأخذوا الفرع .

وعلى الرغم من هذا فإنَّ الواقع التداولي للغة ينبيء أنَّ هذا نوع من أنواع التطور اللغوي، فاللغة الأولى المستعملة في البداية في هذه الكلمة هي لغة الهمز، ثم تُركت، وأصبحت لغة ترك الهمز هي الشائعة، وأخذت الأفضلية في الاستعمال، وقد أدى هذا إلى تكوين نوع من البدائل الاستعمالية التي كانت تركن إليها الأداءات الاستعمالية للأنماط اللغوية، التي استعملت كلمة(النبي) بالهمز، واستعملتها دون الهمز، ثم ساد نمط على آخر .

ويرى الباحث أنَّ حُكْم "سيبويه" علي تحقيق (نبيء) و(بريئة) بأنه قليل رديء، على الرغم من أنهما مما قرأ به نافع، وأنَّ سيبويه قد اعترف بعد ذلك بهذا التحقيق فتناقض، فدل هذا عنده على أنه جمع أقوال الناس، ولم يشافه العرب، فهو أيضًا من توهمه .

وهذه المسألة، حتى تكون في إطارها الصحيح، يمكن القول: إنَّ سيبويه هنا لا يتحدث بتاتًا عن قراءة، وإنما يتحدث عن ظاهرة لهجية، وهي: أنَّ قريشًا كانوا يخففون الهمزة، في حين أنَّ جمهور العرب يحققونها، ومع ذلك فإنَّ كثيرًا من هؤلاء يخففون (نبيء) و(بريئة)، لكن قومًا منهم يحققون، فلذلك قال "سيبويه":" وذلك قليل رديء، أي رديء عند أهل التحقيق الذين أبدلوا هاتين الكلمتين، فهو بذلك يصف السماع من أهل تحقيق الهمزة في هاتين الكلمتين، ولا يصف السماع عن كل العرب، فقد ورد أن قريشًا لا تهمز،والدليل علي أنَّ سيبويه تحدث عن السماع في هاتين الكلمتين من حيث القلة والكثرة، قوله في موضع آخر:" وكذلك (البرية) تهمزها، فأما (النبي) فإن العرب قد اختلفت فيه، فمن قال (النباء) قال (كان مسيلمةُ نُبَيِّءَ سَوْءٍ)[1]، وتقديرها (نُبَيَّعٌ) وقال العباس ابن مرداس :

يا خاتَمِ النُبَآءِ إِنَّكَ مُرسَلٌ ❁ بِالحَقِّ كُلُّ هُدى السَبيلِ هُداكا

[من الكامل]

[1] -الاستدلال في كتاب سيبويه (الاستدلال بالنقل) ج١ ص ٢٠٧.

ذا القياس لأنه مما لا يلزم، ومن قال (أنبياء) قال (نُبَيٌّ سَوْءٍ)، وقوله أيضًا:" واعلم أنَّ الهمزة التي يحقق أمثالها أهل التحقيق من بني تميم وأهل الحجاز، وتجعل في لغة أهل التخفيف بَيْنَ بَيْنَ- تبدل مكانها الألف، إذا كان ما قبلها مفتوحًا، والياء إذا كان ما قبلها مكسورًا، والواو إذا كان ما قبلها مضمومًا، وليس ذا بقياس متلئب[1]، نحو ما ذكرنا، وإنما يحفظ عن العرب ".[2]

وصفوة القول: إنَّ سيبويه قد ذكر في هذه المسألة، أنَّ من العرب مَنْ يحقق الهمزة، ومنهم مَنْ يخفف، وأنَّ جمهور المحققين بله المخففين يخففون الهمزة من (نبيء) و(بريئة)، وبعض أهل التحقيق يحققونها، فخالفوا بذلك الجمهور؛ لأنهم أقلية، ولأن تخفيفهما هو الذي جرى به الاستعمال أكثر، وإلا فالتخفيف والتحقيق في هاتين الكلمتين كلاهما ثابت،هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإنَّ "سيبويه" لم يعرض لقراءة نافع، لا من قريب ولا من بعيد، كيف وهو يعرف أنَّ الهمزة أصل في (النبي)؛ لأنه من النبأ، وأصل في البريئة لأنها من برأ .

وقد قال في الكتاب:" إن القراءة لا تخالف؛ لأنَّ القراءة سُنَّة، ولسنا على يقين أنه كان على عِلْم بقراءة نافع، وإن كان عالمًا بها فالقراءات في عهده لم تُسَبَّعْ بعد"، وقال ابن منظور(١٢٣٢م - ١٣١١ م- ٦٣٠ه- ٧١١ هـ):" قال سيبويه:" والهمز في النبي لغة رديئة، يعني: لقلة استعمالها، لا لأن القياس يمنعها ".[3] وقال ابن الأثير(٥٥٥-٦٣٠ه) في النهاية عن (النبي):"ويجوز فيه تحقيق الهمز وتخفيفه، يقال: نَبَأ ونَبَّأ وأنبأ، قال "سيبويه": وليس أحد من العرب إلا ويقول: تنبأ مسيلمة، بالهمز، غير أنهم تركوا الهمز في (النبي) كما تركوه في الذرية والبرية والخابية، إلا أهل مكة فإنهم يهمزون هذه الأحرف الثلاثة، ولا يهمزون غيرها، ويخالفون العرب في ذلك ".[4]

المفاضلة بين الحذف والإثبات في حروف اللين الواقعة أواخر الأسماء و الأفعال:

---

[1] - أي :ليس بقياس مستقيم .
[2] - شرح شافية ابن الحاجب ٣٣٥/٤.
[3] - لسان العرب لابن منظور- مادة (نبأ) – دار صادر- بيروت – ط١- ١٦٢/١.
[4] -غريب الحديث–ابن الأثير- تحقيق طاهر أحمد الزاوي– ومحمود محمد الطناحي – المكتبة العلمية – بيروت –لبنان– ٨/٥.

قال سيبويه:" وأمَّا الأفـعال فلا يُحذف مِنْهَا شَيءٌ؛ لأنَّها لا تذْهَبْ في الوصْلِ في حال وذلك: لا أقضِي، وهو يَقْضي، ويَغْزو ويَرْمي. إلاّ أنَّهُمْ قالوا: لا أدْرْ، في الوقفِ؛ لأنَّه كَثُرَ في كلامِهم، فهو شَاذٌّ. كَمَا قالوا: لم يَكُ، شُبّهت النون بالياء حَيْثُ سكنتْ، ولا يقولون لم يكُ الرجلُ؛ لأنَّها في موضع تحرُّكٍ، فلم يشبِّه بلا أدْرِ، فلا تحذف الياء إلاّ في: لا أدْرِ وما أدْرِ. وجمع ما لا يُحذف في الكلام، وما يُختار فيه أنْ لا يُحذفَ، يحذفُ في الفواصل والقوافي، فالفواصل قول الله عزّ وجلّ:(وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ)"[١]، (وما كُنَّا نَبْغِ) [٢]و(يَومَ التَّنَادِ) [٣]،و(الكَبيرُ المُتَعَالِ[٤])، والأسماءُ أجدرُ أنْ تُحذف؛ إذْ كَانَ الحذف فيها في غَيْرِ الفواصلِ والقوافي. وإثبات الياءات والواوات أقْيَسُ الكلامين، وهذا جائزٌ عربيٌّ كثيرٌ".[٥]

يفاضل سيبويه في الفقرة السابقة، بين الحذف والإثبات الواقع في حروف اللين الموجودة أواخر الأسماء والأفعال، ويقصد "سيبويه" أن هناك أفعالًا يجب ألا يحذف منها شيء في حال الوصل، ولا في حال الوقف، وهي الأفعال المنتهية بالياءات، إلا أنه سُمع عن العرب حَذْف الياءات في حال الوقف؛ وذلك لأنَّه كثير في كلامهم، وعده سيبويه شاذًا عن الأصل، وهو بقاء الياءات والواوات في الوقف .

أما في حال الوصل فلا يحذفون شيئًا من الفعل، ثم يستدرك "سيبويه" حديثه؛ ليوضح أن ما هو شاذ في الحديث العادي؛ يعد جائزًا في الفواصل والقوافي الشعرية، ويستشهد بآيات من القرآن الكريم كقوله: عز وجل: (واللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ) فقد حذف الياء من الفعل (يسرِ) وقد جاز ذلك؛ لأنها من فواصل الآيات، ويعد هذا الحذف جائزًا؛ إلا أن إثبات الياء في نهاية الأفعال سواء أكان كلامًا عاديًا أم فواصل أم قوافي هو القياس، وإثبات الياءات لغة أهل الحجاز والحذف لغة

---

[١] - سورة الفجر ، آية :٤.
[٢] - سورة الكهف الآية :٦٤.
[٣] - سورة غافر ، آية : ٣٢.
[٤] - سورة الرعد ، آية :٩.
[٥] - الكتاب لسيبويه ٤/١٨٤،١٨٥.

مشهورة؛ يقولون: "جاءني القاض" و"مررت بالقاض" فيحذفونها لسكونها ودلالة الكسرة [١]عليها.

وقد نسب البنا الدمياطي[٢] (ت ١١١٧ه) الحذف لقبيلة هذيل، وعُلل ميل الحجازيين إلى الإتيان بالصيغة وافية أنهم أهل حضر، والحضري غالبًا ما يُعْنى بتحسين النطق؛ حتى ينال ما يشتهي من طموح ومركز اجتماعي؛ لهذا يعمد إلى وضوح الكلام وحسن الأداء .[٣]وقد اختلف القدماء في مسألة حذف الياء، ففي حين ذهب البصريون إلى أنه ضرورة، ذهب الكوفيون إلى أن الحذف لغة[٤].

وربما كانت العلة في تجويز الحذف وعده لغة؛ وروده في كثيرمن فواصل الآيات فالحذف يرجع إلى علة صوتية، تتمثل في الإيقاع والإنسجام الصوتي بين كلمات فواصل الآيات، وهذا يبدو واضحًا في سورة الفجر:(والْفَجْرِ (١) ولَيَالٍ عَشْرٍ (٢) والشَّفْعِ والوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إذا يَسْرِ)[٥] ففواصل الآيات كلها تسير على على نَغَمَة واحدة تبرز في الكلمات التي تحمل مقطعًا صوتيًا واحدًا من النوع الطويل المطلق بصامتين.[٦]

وجدير بالذكر أنَّ القرآن الكريم حريص على إحداث الانسجام بين الآيات وفواصلها، مما يسهل حفظه وقراءته، وحفاظًا على الانسجام الصوتي، والتوافق الموسيقي، فقد يضيف القرآن حرفًا أو يحذف حرفًا مخالفًا بذلك قاعدة نحوية،

---

[١] - ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، للقيس ،المكي، تحقيق :محي الدين عبد الحميد١٩٧٤ ج١،ص٣٣١.

[٢] - يذظر :اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشرللبنا الدمياطي، تحقيق شعبان محمد اسماعيل، ط١، القاهرة،١٩٨٧ ، ج١، ص٣٤٥.

[٣] - ينظر: الجندي، علم الدين، اللهجات العربية في التراث، الدار العربية للكتاب،١٩٨٤، ص ٦٨٤.

[٤] - الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (المتوفى: ٥٧٧هـ) الناشر: المكتبة العصرية الطبعة: الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م عدد الأجزاء: ٢ [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع وهو مذيل بالحواشي.

[٥] - سورة الفجر: الآيات من ١-٤.

[٦] - ينظر :الإنصاف، للأنباري ج١، ص٣٦٣.

ومما حُذِفَ منه حرف كما ذكرتُ سابقًا كلمة (يسر) ومما أضيف له حرف: كلمات مثل "الظُّنُونَا،[١] والسبيلا في قوله تعالى:(فأضلونا السبيلا﴾[٢]

فحذف الياء من (يسر) من غير جزم، وإضافة الألف لكلمة (الظنونا) من غير علة نحوية مخالفًا للقاعدة، التي توجب أن ينتهي الفعل (يسر) بالياء، وتنتهي كلمة (الظنونا) بإسكان الحرف الأخير بالوقف، وإنما حدث هذا لتنسجم هذه الفواصل مع فواصل الآيات الأخرى التي قبلها وبعدها، وهذا ما لاحظه "سيبويه" حين أشار إلى ذلك بأن جميع ما لا يحذف بالكلام، يحذف بالفواصل والقوافي، وإن عَدَّ أنَّ الاثبات أجود وأحسن استعمالًا، والحذف على الجواز.

إنَّ الإثبات والحذف ظاهرتان لغويتان شاعتا في اللغة الحجازية، وقد ثَبُتَ أن الإثبات هو الأصل وهو اللغة الأولى، وأن الحذف هو اللغة الثانية، ويعد مظهرًا من مظاهر التطور اللغوي نحو التخفيف.

<u>نتائج الدراسة :</u>

١-الدراسة أظهرت أن هناك أصواتًا قد وردت على خلاف الأصل توهمًا لالتقاء ساكنين .

٢-عَدّ سيبويه أن هَمْز بعض الكلمات من الاستعمالات الرديئة عند العرب.

٣-عَدَّ سيبويه أنَّ حذف الياء من آخر الكلمة عند الوقف شاذًا وعلى خلاف الأصل.

٤- وردت قراءات ولغات تدعم وتؤيد جواز وصحة استعمال لغة الهمز.

المصادر والمراجع

***-القران الكريم .**

***- اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، للبنا الدمياطي، تحقيق شعبان محمد اسماعيل، ط١، القاهرة،١٩٨٧ ، ج١، ص٣٤٥.**

***-الاستدلال في كتاب سيبويه طبيعته وأنماطه- ماجستير- محمد بن جبر- المؤلف كاتب غير محدد – قسم اللغة العربية – رسالة ماجستير- عدد الصفحات ٤٣٤- ٢٧يونيو٢٠١٦م.**

[١] - سورة الاحزاب، أية: ١٠.

[٢] - سورة الأحزاب: الآية ٦٧.

*-الأصول في النحو المؤلف: لأبي بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (المتوفى: ٣١٦هـ) المحقق: عبد الحسين الفتلي الناشر: مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت عدد الأجزاء: ٣
*- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين لعبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (المتوفى: ٥٧٧هـ) الناشر: المكتبة العصرية الطبعة: الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م عدد الأجزاء: ٢ [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع وهو مذيل بالحواشي].
*- التصنيف اللغوي بين المقبولية والأفضلية اللغة الرديئة نموذجًا، لعمر محمد أبو نواس – رسالة بكلية اللغات الجامعة الألمانية الأردنية – عمان – الأردن .
*- الخصائص المؤلف: لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: الرابعة عدد الأجزاء: ٣.
*- شرح شافية ابن الحاجب المؤلف لرضي الدين الأستراباذي الجزء: ٢الوفاة: ٦٨٦المجموعة :علوم اللغة العربية تحقيق:تحقيق وضبط وشرح: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد الطبعة:سنة الطبع: ١٣٩٥ - ١٩٧٥ م.
*-غريب الحديث– لابن الأثير- تحقيق:طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي – المكتبة العلمية – بيروت – لبنان– ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
*الكتاب لسيبويه تحقيق وشرح عبدالسلام محمدهارون الجزء الاول والثالث والرابع١٤٠٨ه-١٩٨٨م
*- لسان العرب لابن منظور – دار صادر- بيروت – ط١- تاريخ النشر الأصلي ١٢٩٠.
* - اللهجات العربية في التراث للدكتور أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب، طرابلس – ليبيا-١٩٨٣م.